توحيد الدولة المغربية والجيش في بداية عهد السلطان إسماعيل العلوي

م.د. سلوان رشيد رمضان

المديرية العامة لتربية صلاح الدين

الملخص :

واجه المغرب تحديات عديدة بعد عام ١٤٩٢، وهو العام الذي طرد فيه العرب المسلمون من الأندلس من ازدياد الاعتداءات البرتغالية والاسبانية على السواحل المغربية، فضلاً عن التحديات الداخلية التي عصفت بالدول التي ظهرت فيها، لذلك تُركت تراكمات كبيرة حين تسلمت الأسرة العلوية الحكم في النصف الثاني من القرن السابع عشر، وحتى جلوس السلطان إسماعيل على عرش المغرب، إذ حاول في بداية حكمه السيطرة على مدن المغرب وإخماد الثورات التي كانت تحصل هنا وهناك، وتشكيل جيش قوي مدرب لإنهاء تلك التمردات وتوجيه الأنظار نحو الأعمار والبناء، لتحصين الجبهة الداخلية وتقويتها، والحفاظ على النسيج السكاني والقبلي .

Abstract

Morocco faced many challenges after 1492, the year in which the Muslim Arabs of Andalusia was expelled from the increase in assaults Portuguese and Spanish on the Moroccan coast, as well as the internal challenges that ravaged countries that appeared in it, so I left a large accumulations while the top family received the verdict in the second half of the seventeenth century, and even sitting Sultan Ismail to the throne of Morocco, as it tried at the beginning of his control of the cities of Morocco and the suppression of the revolutions that were taking place here and there, and the formation of a strong-trained army to end the rebellions and draw attention towards the reconstruction and construction, to fortify the internal and strengthened the front, keeping the fabric The tribal population.

المقدمة :

كان المغرب يعيش حالة من عدم الاستقرار في النصف الأول من القرن السابع عشر من جراء تصارع الأُسر على الحكم، إلا أن ظهور الدولة العلوية في النصف الثاني من القرن السابع عشر متمثلة بمحمد الشريف العلوي وأبناءه من بعده هي التي أخذت على عاتقها مهمة استقرار المغرب وتوحيده سياسياً، إلا أن الصراعات والفتن داخل الأُسرة بتحريض من عدد من القبائل التي ارادت جني المكاسب الشخصية عن طريق التقرب من السلاطين ونيل المناصب المهمة هي التي حاولت الفتك في عضد الدولة الفتية حتى وصول السلطان إسماعيل إلى الحكم عام ١٦٧٢ والقضاء على تلك الثورات الداخلية في جميع أنحاء المغرب، وبناء جيش قوي مدرب واسترجاع عدد من المدن التي اعتصم بها المقربين من السلطان لاتخاذها عواصم لهم مستثمرين مساندة القبائل التي تقطنها، لذلك تحرك السلطان إسماعيل بشكل سريع لمعالجة تلك الثورات عن طريق تشكيل الجيوش الموالية له وتحرير المدن وبناء الأسوار فيها وتحصينها، وملاحقة الخارجين عن بيعته حتى دخوله الجزائر التي كان لها دور في مساندة ابن أخيه أحمد بن محرز.

إن سبب اختيار موضوع البحث جاء لإماطة اللثام عما يحيط ببداية الحكم العلوي في المغرب، والتعريف بعدد من الشخصيات والمدن للتعرف على ما جرى في بداية حكم السلطان إسماعيل (١٦٧٢-١٦٨٠)، وجهوده المثمرة في استقرار الحكم العلوي في المغرب.

تضمن البحث مقدمة وخمسة محاور رئيسة وخاتمة، جاءت بحسب التسلسل الزمني للأحداث المهمة التي مرت في حياة السلطان إسماعيل وجهوده في توحيد المغرب داخلياً وخارجياً عن طريق صد الاعتداءات، والانطلاق نحو توسيع هيبة المغرب بالسيطرة على السودان الغربي، والوقوف بوجه الأطماع العثمانية المتواجدة على الأرض الجزائرية، وبذلك هزم السلطان المجاهد إسماعيل خصومه وجلس على هرم السلطنة ليعمر تلك البقعة وينشأ فيها المباني والمؤسسات الحكومية الشاخصة حتى الآن .

أولاً- السلطان إسماعيل وقمع الثورات

كانت فرصة تولي المولى إسماعيل[١] ضعيفة بعد وفاة أخوه المولى رشيد[٢] بسبب كثرة أخوته الذين يزيد عددهم عن (٨٠) الذين كانوا يمنون النفس في التربع على العرش، وكان أشهرهم المولى الحران[٣] الذي حاول أن يسبق المولى إسماعيل بالاستيلاء على العاصمة فاس التي خبأ فيها المولى الرشيد أمواله، ولكن الأخ الأصغر لهما وهو المولى إسماعيل وصلته أخبار حادثة المولى رشيد وهو بمكناس إذ كان خليفة لأخيه على بلاد الغرب مدة (٦) أعوام، فاجتمع الناس عليه وبايعوه واتفقت كلمتهم عليه، وتقدم عليه أعيان فاس وأعلامها وأشرافها ببيعتهم في نيسان ١٦٧٢، وقدم عليه أهل بلاد الغرب من الحواضر والبوادي بهداياهم وبيعاتهم، فجلس

السلطان لاستقبال الوفود إلى أن فرغ من شأنهم ونظم أموره بمكناس وعزم على السكن فيها، إذ أعجبه ماؤها وهواؤها[٤] .

كانت فاس تأمل بعد إعلان خضوعها للسلطان إسماعيل في أن تعود عاصمة اقتصادية وسياسية للمغرب كما كانت في عهد الأسرة السعدية[٥]، وكان المولى رشيد قد أهمل فاس من قبل واكتفى بإنشاء قنطرة سبو[٦]، فضلاً عن عدد من المدارس، وربما كان ابتعاد كل من المولى رشيد والسلطان إسماعيل عن فاس وأهلها، يرجع إلى كونها كانت مدينة صاخبة، ويتميز أبناؤها بروح استقلالية وأن السلاطين العلويين ينفرون عن كل ما هو قديم وراسخ ولا يحمل سمات حكمهم وعصرهم، فضلا عن تلك الأسباب خوفهم من خطر محاصرة أعدائهم الثائرين لهم فكانوا لا يقبلون الإقامة في المدن التي تشرف عليها المرتفعات من كل جانب، إذ يمكن لبعض قطع المدفعية أن تجبرها على التسليم[٧] .

إن وصول السلطان إسماعيل إلى العرش واعتراف العلماء وطلبة جامعة القرويين به ودعاءهم له في صلاة الجمعة أثار عليه حقد كثير من الأمراء، ولاسيما المولى حران الذي كان أكبر منه عمراً وكان أميراً على تافيلالت موطئ أسرة الأشراف، إذ آثار النزاع الحاصل بين المولى حران والسلطان إسماعيل، ابن أخيهم المولى أحمد بن محرز[٨] الذي تمرد على عمه في مراكش بعدم اعترافه بعمه سلطاناً على البلاد ومحاولة انتزاع العرش منه، وكان أحمد بن محرز يأمل في أن تتعاون قواته مع عمه المولى حران، لكن السلطان إسماعيل كان خفيف الحركة فخرج على رأس قواته متوجهاً نحو مراكش لكبح ثورة ابن أخيه وأهل مراكش بعد مبايعتهم ومساندتهم لابن أخيه هم وعرب سوس[٩]، وهكذا انفتح باب الثورة على مصراعيه في جهات مختلفة من المغرب بعد أن كان موحداً، إذ أسهمت تلك الثورة في ثورات مدن رئيسة كمراكش وتارودانت وفاس وعدد كبير من قبائل الأطلس[١٠] وعدد من الأمراء وذلك لأن ولاية العرش لم يوضع لها أي نظام[١١] .

صمم السلطان إسماعيل على إخماد تلك الثورة وعلى قطع دابر الثوار حتى لا تقم لهم قائمة بعدها ولا تسول لأحد نفسه من بعدهم أن يفعل مثل فعلتهم، فتوجه السلطان إلى مراكش وقاتل ثوارها وهزمهم ودخل مراكش عنوة في عام ١٦٧٢ ولما طلبوا الأمان أمنهم وعفا عنهم، وقدمت عليه قبائلها بعد أيام فرتب حاميتها ونقل أخاه الرشيد في تابوته ورجع إلى مكناس[١٢] ثم فرق الرواتب على الجيش بقصد الخروج للصحراء[١٣] وتسري عدوى الثورة نحو فاس بعد أن بايعوه فإذا بأهلها يقتلون قائد المدينة زيدان بن عبيد العامري، وبذلك وقفت فاس مفترق الطرق، ولعبت بالنار التي توشك أن تحرقها فزحف السلطان إليها وحاصرها، فاستمر القتال بينهم أياماً ثم أرسلوا إلى أحمد بن محرز ليأتيهم فيجتمعوا عليه فوجه لهم كتابه مع رسوله يعلمهم بقدومه،

فأعلنوا نصرته بالمدينة وفي الليل أرسلوا (١٠) من الخيالة للقائه بتازة، وفي الصباح ورد عليهم رسول الخضر غيلان[١٤] يعلمهم بقدومه من ثغر الجزائر عن طريق البحر، وأنه نزل بتطوان مع رؤسائها أولاد النقسيس[١٥] فتعددت الآراء في فاس وتشعبت أي الثائرين تتبع ابن محرز أم الخضر غيلان، لكن السلطان إسماعيل أزال حيرتهم حينما توجه بجنوده قاصداً تازة فحاصرهم، فهرب أحمد بن محرز نحو الصحراء إلى انكاد، فأسرع السلطان أحمد إسماعيل بمهاجمة قوات الخضر غيلان في الغرب من دون أن يترك له حرية اختيار الزمان والمكان الذين قد يحققان له النصر فحاربه إلى أن ظفر به وقتله في كانون الأول ١٦٧٣[١٦].

إن نصر السلطان إسماعيل وسيطرته على الجزء الشمالي من المغرب سهل مواصلاته مع الدول الأوربية وأصبح في استطاعته أن يهدد المراكز والقواعد العسكرية الأوربية في شمال المغرب ويدخل معها في علاقات [١٧] .

عاد السلطان إلى فاس من جديد وحاصرها فخرج إليه فقهاؤها وأشرافها يطلبون العفو من السلطان إسماعيل فعفا عنهم وسامحهم بعد حصار دام (١٤) شهرا وخَلَفَ على فاس الجديدة عبد الرحمن التزاري[١٨] حاكماً عليها[١٩] .

عاد السلطان إسماعيل من فاس، فشرع في بناء قصوره في مكناس، وكانت من الأمصار القديمة ومنازلها قبيحة، فقام بهدم ما يلي المدينة من الدور وأمر أهلها بحمل أنقاضها وبنى لهم سوراً على الجانب الغربي وأمر ببناء دورهم به وهدم الجانب الشرقي كله من المدينة وأضافه إلى المدينة القديمة، ولم يبق أمامه إلا الفضاء فجعله تابعا للمدينة، وبنى سور مدينة مكناس وفصل مكناس القديمة عن الجديدة فأطلق أيدي الصناع بالبناء وجلبهم من حواضر المغرب فلم يبلغ بذلك غايته في السرعة، ففرض العمالة على قبائل المغرب، كل قبيلة توجه عدداً معلوماً من الرجال والبهائم في كل شهر ورتب على أهل الحواضر الصناع في كل شهر من البنائين وغيرهم من أهل الحرف وأستمر ببناء عاصمته مكناس، ولولا ذلك البناء لما كانت مكناس جديرة بأن تكون عاصمة المغرب، لكن السلطان إسماعيل أعطاها شخصيتها التي ميزتها عن بقية مدن المغرب حتى الآن[٢٠] .

في أثر هروب ابن محرز إلى أنكاد بعد معارك عديدة ومقتل عدد كبير من جيشه لم يسعه غير الهرب نحو سجلماسة ومن هناك إلى درعة فأقبل عليه أهلها وأيدوه ونصروه ثم أرسل له أهل مراكش فسار نحو مراكش وتمكن من دخولها عام ١٦٧٤ فاستقبلوه وبايعوه فوصل الخبر إلى السلطان إسماعيل وكان يومئذ متوجهاً إلى أنكاد بعد الذي بلغه من عبث العرب في الطرقات فسار إليهم وأوقع بهم وقتل منهم عدداً كبيراً ونهب أموالهم ورجع مؤيداً منصوراً وأستعد لحرب أحمد بن محرز، إذ توجه بجيشه إلى تادلة فكان اللقاء بينهما في أبي عقبة[٢١] ولما وقع القتال

أنهزم أحمد بن محرز وقتل قائد جيشه بو حيدة الطويري[٢٢]، فهرب إلى مراكش فتبعه السلطان إسماعيل ونزل عليه بمراكش في بداية عام ١٦٧٥ وأستمر السلطان محاصراً مراكش فأشتد الحصار حتى ارتفعت الأسعار ومات أهلها من الجوع، فوقع قتال كبير قتل فيه من الطرفين مالا يحصى، فاحتجزوا أحمد بن محرز بمراكش وبقي يقاتل من أعلى الأسوار، وأستمر الحصار على مراكش حتى الرابع من نيسان ١٦٧٧ فأشتد الأمر على أحمد بن محرز وضاق ذرعاً فخرج هارباً ناجياً في من بقي من جيشه بعد الحرب ودخلها السلطان إسماعيل عنوة فاستباحها وقتل من أعيانها (٧) وسمل ثلاثة منهم وهدأت الفتنة[٢٣].

ثانياً– تشكيل جيش الودايا

في أثناء إقامة السلطان في مراكش وخروجه إلى الصيد رأى إعرابياً يرعى غنماً وبيده شفرة يقطع السدر ويضعه لغنمه لتأكل ورقه، فقال لأتباعه:" **علي بأبي الشفرة**"[٢٤] فأسرعوا إليه وجاؤوا به إلى أن أوقفوه بين يديه، فسأله عن نسبه فأنتسب له إلى ودي[٢٥]، وأخبره بأنهم دخلوا من بلاد القبلة، بسبب جدب أصابهم، وقال:" **دخلنا سوس وافترقنا وذهبت كل طائفة منا إلى قبيلة فنزلت عليها، ونحن نزول مع الشابانات**" فقال له السلطان:" **أنتم أخوالي وسمعتم بخبري ولم تأتوني، والآن أنت صاحبي وإذا رجعت بغنمك إلى خيمتك فأقدم علي إلى مراكش**"[٢٦]، وأوصى به من يوصله إليه، وبعد أيام قدم إلى السلطان فكساه وحمله وأرسل معه خيلاً يجمع بها أخوانه من القبائل، فجمع من وجد منهم وجاء بهم إلى السلطان فثبتهم في الديوان وكساهم وحملهم معه إلى مكناس دار السلطنة، وسمع سائر الودايا بتلك الأخبار، وتلك النعم فقدمت جماعة أخرى فبالغ السلطان في إكرامهم وسجلهم في الديوان، وأسكنهم في قصبة الرياض[٢٧] قرب مكناس وأمر ببناء دور لهم، ثم قدمت جماعة ثالثة إلى السلطان ففعل معهم الشيء نفسه، أولئك هم النواة التي تشكل منها جيش الودايا في قسمه الأول[٢٨]، ثم بلغ السلطان وهو مقيم في مراكش اجتماع أهل الأطلس من البربر على أحمد ابن عبد الله الدلائي[٢٩] واعتدائهم على جيرانهم من قبائل العرب في تادلا، فأرسل لهم جيشا من ثلاثة آلاف فارس فقتلوا ونهبوا، ثم أعقبه بجيش آخر فوقع له مثل الأولين وتابع السلطان إسماعيل تحركات أحمد بن محرز المتواجد في السوس، فخرج إلى حرب البربر بتادلا خوفاً من اتساع ثورتهم، فهزمهم شر هزيمة وقطع منهم(٧٠٠) رأس وأرسلها إلى فاس مع عبد الله بن حمدون الروسي[٣٠] عام ١٦٧٨[٣١] .

ثالثاً- تشكيل جيش عبيد بخارى

عاد السلطان إلى مكناس، وقد ولى عليها القائد عبد الله الروسي، وولى القضاء بفاس للسيد العربي بردلة[٣٢] وأمر بقتل مساجين أهل تطوان الذين كانوا بسجن فاس والبالغ عددهم (٢٠) سجيناً[٣٣] .

كان عند كل باب من قصور السلطان حراس عدد من العبيد السود، وكل واحد بمن يخدمه من السودان، إذ السلطان مولعا بجمع العبيد وجعلهم عسكراً له، ولما كان السلطان بمراكش أتاه طالب يدعى عليليش[٣٤] من أهل مراكش بدفتر فيه أسماء العبيد الذين كانوا في جيش المنصور فسأله:" **هل بقي منهم أحد، فقال نعم كثير منهم ومن أولادهم وهم متفرقون بمراكش وأحوازها وبقبائل الدير، ولو أمرني مولانا بجمعهم لجمعتهم**"[٣٥]، فكتب له أمره للعمال يقفون معه في جمع العبيد وأولادهم، ولما رجع من مراكش إلى مكناس كلف كاتبه محمد بن العياشي[٣٦] أن يخرج لقبائل الغرب[٣٧] وبني حسن[٣٨] ويقوم بجمع كل أسود كان حراً ومملوكاً وكلف عماله بالقبائل أن يشتروا له العبيد فجمعوا كل ما وجدوه حتى لم يبق أسود بالمغرب في حاضره ولا بادية ولو كان حراً أسود أو حرة سوداء[٣٩] .

ولما قدم عليليش إلى مكناس بما جمع من العبيد، قدِمَ عليه أيضاً ابن العياشي بما جمع ووجه له العمال ما جمعوا وما أشتروا، دفع لهم الكسوة والسلاح وعين لهم قوادهم وأعطاهم ما يبنون به وجههم لمشروع الرملة[٤٠] فبنوا وغرسوا وأستمر الحال على ذلك إلى أن بلغ أولادهم فأمرهم أن يأتوه في كل عام بمن بلغ العاشرة من أولادهم وبناتهم، فكان يرسل قسما من الأولاد في أعمال البناء والنجارة وسائر أهل الحرف يعلمونهم، والقسم الآخر منهم للخدمة يسوقون الحمير والتدرب على ركوبها حتى يتموا عاما كاملاً[٤١]، وإذا أنهوها بنجاح تأهلوا إلى المرحلة التي بعدها وهي التدرب على البغال المحملة بأنواع مختلفة حتى يتموا عاما آخر ويتأهلون إلى أعمال البناء فيبنون ويصنعون الواح القوالب حتى إذا أكملوا عاما يكونون قد أكملوا المرحلة التمهيدية ويصبحون أهلاً للتعليم العسكري فيلبسون الزي العسكري ويدفع لهم السلاح للتدريب يتعلمون فنون القتال وطرقها وآدابها مدة عام، ثم ينتقلون لتعلم الفروسية حتى إذا أحكموا السيطرة عليها من دون سرج مدة عام، دفع إليهم السروج فيركبون بها، ويتعلمون الكر والفر والرمي من على صهواتها وإذا أكملوا عاما صاروا في عداد الجند المؤهل[٤٢] .

كان السلطان يخرج البنات اللائي قمن بالتعلم في قصوره على الطبخ والفرش والغسل فإذا أتممن يتزوج كل واحد من أبناء العبيد واحدة من البنات، ويعطي الرجل (١٠) مثاقيل من الذهب مهراً لها ويولي عليهم أحد الكبار من أبائهم ويعطي القائد ما يبني به داره، ثم يوجههم إلى مساكنهم بعد أن يسجلوا في سجل الجند، وأستمر على تلك الحال طوال حياته، وكان في سجل

جيشه من العبيد (١٥٠) ألفا و (٧٠) ألفا في مشروع الرملة، و (٢٥) ألفا في مكناس وباقي العدد يفرق على القلاع التي بناها بالمغرب من وجدة إلى وادي نون[٤٣]، وبلغ عددها (٧٦) قلعة[٤٤] .

كان هدف السلطان إسماعيل من تشكيل جيش الودايا ومن بعده جيش عبيد بخاري[٤٥] وتنظيمهم والعناية بهم ورعايتهم أن يستغني عن العصبة القبلية التي كانت يعتمد عليها عدد من الملوك السابقين الذين جعلهم عرضة لخطر تخلي القبائل عنه وبتأسيس تلك القوة المنظمة المدربة على القتال بأسلوب حديث تخلى عن تلك القبائل وتمكن من تحرير الثغور المحتلة من اسبانيا، فضلاً على حماية الحدود المغربية وقمع القبائل الثائرة بكل قوة وحزم[٤٦].

فرض السلطان ضرائب على سكان القبائل للحفاظ على الأمن والاستقرار وتمويل الجيش[٤٧] ثم خرج من مكناس إلى مراكش عام ١٦٧٨ ومنها للسوس فبلغ في غزوته إلى طاطا[٤٨] وشنقيط[٤٩] ووفد عليه العرب[٥٠] أهل القبلة من عرب المعقل ودليم[٥١] وشبانات وجرار[٥٢] وأدوا طاعتهم ثم جاءته خناثة[٥٣] بنت الشيخ وزوجه إياها والدها وجلب في تلك الحركة الحركة من الأقاليم المذكورة ألفين من الحراطين[٥٤] مع أولادهم في العام نفسه فكساهم السلطان إسماعيل فوجههم لمشروع الرملة ورجع هو إلى مكناس[٥٥] .

رابعاً– توجه السلطان إسماعيل إلى السودان الغربي

اتجهت أنظار السلطان إسماعيل إلى السودان الغربي التي عرفت باسم غينيا[٥٦]، بسبب الازدهار وكثرة الأموال، إذ كان المغرب يحصل على مبالغ كبيرة من الضرائب التي يدفعها أبناء السودان الغربي له، وكان يعدَّ مورداً لا ينضب لتزويد المغرب بعدد كبير من الجنود السود الذين اشتهروا بطاعتهم وولائهم للسلطان، لذلك فكر في السيطرة على السودان الغربي، لإعادة فرض النفوذ المغربي[٥٧] ونشر الإسلام لتدعيم كلمة الحق في تلك المناطق، وكانت هناك عقبات عديدة عديدة تقف في وجه السلطان إسماعيل وأكثرها خطراً هي جود إقليم صحراوي صعب في مناخ يفصل بين الأقاليم المغربية والأقاليم السودانية، وكان يصعب على الإنسان والحيوان عبورها مع قلة المياه والنبات، إذ كانت الطرق فيها غير واضحة وغير ثابتة مع هبوب الرياح وتحرك الكثبان الرملية[٥٨] .

إن امتناع ملك السودان الغربي عن دفع الضرائب التي كان يدفعها للمغرب، وهي مثقال من الذهب عن كل حمل يخرج من ملح تغزة[٥٩] الذي كان المغاربة يصدرونه إلى السودان، وكان من حق سلطان المغرب أن يطالب بشرعية ملكية للمناجم، بصفته أميراً للمؤمنين ويطالب بالضرائب، تلك هي الأسباب المباشرة التي دفعت السلطان إسماعيل إلى التوجه نحو السودان الغربي، فأرسل حملة بقيادة أحمد بن محرز بعد الوفاق بين السلطان وابن أخيه، فأستغل أحمد

فرصة خروج ملك السودان على رأس جيشه لمحاربة مملكة السنغال فاتصل برؤساء القبائل العربية في منطقة شنقيط وأستمالهم إلى جانبه، وبدأ زحف الجيش المغربي جنوباً عبر درعه، ثم عبر الصحراء متجهاً صوب تغزة، وبعد الاستيلاء على تغزة توجه صوب تمبكتو[٦٠]، وقد أستعمل الجيش المغربي جمالا مخصصة لحمل الأمتعة وما يلزم، ثم وصل إلى نهر النيجر[٦١] وعبره، وأضطر إلى السير في وادي النيجر والجبال على الرغم من صعوبة السير حتى لا يظهر بقواته خوفاً من هجوم مضاد قد يقوم به ملك السودان[٦٢] .

تمكن أحمد بن محرز من إخضاع القرى في طريقه لتقدم الطعام والمؤن والمعلومات للجيش الذي تمكن من أن يفاجئ مدينة تمبكتو ويحاصرها[٦٣] .

إن وجود ابن الملك السوداني أعطى القبائل السودانية دافعا إضافيا لمهاجمة الجيش المغربي، لكن ضعف السلاح حال دون تحقيق أي انتصار على الرغم من نجاحهم في صد هجوم الجيش المغربي ثلاث مرات ومنعه دخول المدينة حتى تمكن أحمد بن محرز من دخول المدينة بعد إحداث فجوة في سور المدينة وقتل كل رجل في المدينة يحمل السلاح وأسر الأمير السوداني، ثم قام بتحصين المدينة خوفاً من أي هجوم يقوم به الجيش السوداني لإنقاذ الأمير، وبعد وصول الجيش السوداني وتسلق السور تمكن الجيش المغربي من صده وإنزال خسائر كبيرة معتمداً على قوة السلاح الناري، وانتهى الأمر بهروب جيش السودان، وتمكن أحمد بن محرز من عقد اتفاق مع أمير السودان على أساس الصلح بإعطاء (١٠) الآف سوداني للمغاربة من مجموع العبيد الذين كان والده قد حصل عليهم من حربه في السنغال وخضوع السودان إلى السلطة المغربية ودفع الأموال لسلطان المغرب، ثم عاد إلى المغرب مع ما يحمله من هدايا للسلطان إسماعيل[٦٤] .

خامساً- التوجه نحو الجزائر العثمانية

آثار تزايد قوة المغرب وهيبته الدولية حفيظة الحكام العثمانيين في الجزائر في محاولة للتدخل في الشؤون الداخلية، وكان ذلك بمناوراتهم الرامية إلى تشجيع ومساندة التمردات ضد السلطان إسماعيل باتفاق حكام الجزائر العثمانيين مع ابن أخ السلطان المولى أحمد بن محرز الذي ثار ضد عمه السلطان إسماعيل، وأن التآمر العثماني على المغرب أريد به إدخال البلاد في صراع داخلي عن طريق الصراع الأسري وإشغال المغرب واستنزافه لأضعافه، في الوقت الذي كانت حالة الهدوء سائدة بين الجانبين المغربي والجزائري، فجاء رد الفعل المغربي سريعاً على تدخل الحكام العثمانيين من الجزائر في الشؤون الداخلية للمغرب[٦٥] .

قام السلطان إسماعيل بغزو بلاد الشرق[٦٦] عام ١٦٧٩ على طريق الصحراء ولما بلغ وجدة قدمت عليه قبائل[٦٧] تلك المناطق وقادته إلى طريق الصحراء حتى نزل بوادي شلف[٦٨]،

ولما انجلى الليل أطلق العثمانيون مدافعهم وضربوا طبولهم وأشعلوا مشاعلهم، فلما سمع العرب تلك الأصوات دهشوا وهرب بنو عامر[٦٩]، ولما أصبح العرب وعلموا بهروب بني عامر هربوا من دون قتال ولم يبق مع السلطان إلا جيشه الذي جاء به من المغرب فكان سبب تأخر السلطان عن حرب العثمانيين، فراسله العثمانيون في التخلي لهم عن بلادهم، ويقف عند حد أسلافه، وأرسلوا إليه بكتاب أخيه المولى محمد بن الشريف وكتاب أخيه المولى الرشيد الذي فيه الحد بينه وبينهم، وانعقد الصلح على أن يكون الحد وادي تافنا[٧٠].

إنَّ المخاطر والتحديات الأسبانية تجاه الجزائر لها أثرها في مخاطبة حكام الجزائر سلطان المغرب بشأن العودة إلى معاهدة تافنا ولما رجع السلطان إسماعيل ومرَّ في طريقه بمدينة وجدة أمر ببناء وتجديد ما تضرر منها، ثم رجع إلى مكناس[٧١].

بلغ السلطان وهو بمكناس خروج ثلاثة من أخوته[٧٢] ودخولهم لقبائل آيت عطا[٧٣] بصحراء سجلماسة فتوجه لهم السلطان بالجيش إلى سجلماسة ومن هناك إلى جبال صفرو[٧٤]، فالتقى الجيشان ودار قتال توفي فيه قائد جيشه عام ١٦٧٩[٧٥] ومن أهل فاس (٤٠٠) مقاتل وانهزم الأخوة وهربوا إلى الصحراء وفي العام نفسه انتشر وباء عظيم[٧٦] في بلاد المغرب فرجع السلطان فأصابه ثلج عظيم في جبال درن[٧٧] أهلك الناس وأتلف متاعهم وما تخلصوا منه إلا بمشقة كبيرة[٧٨]، ولما نزل العبيد من جيش السلطان بسيدي رحال[٧٩] مدوا أيديهم إلى أموال الناس وبضائعهم بعد أن لحقهم من الجوع، فاشتكى الناس إلى السلطان فأمر بقتل من وجدوه خارج المدينة [٨٠] .

أمر السلطان بنقل عرب زرارة[٨١] والشبانات من مراكش إلى وجدة في العام نفسه لما كانوا عليه من الظلم والفساد في تلك البلاد، فأنزلهم بوجدة ثغر المغرب وأمر بالتضييق على بني يزناسن الذين كانوا منحازين إلى الدولة العثمانية فكانت زرارة والشبانات يغيرون عليهم ويمنعونهم من الزراعة، لذلك أمر السلطان ببناء عدد من القلاع[٨٢] وأن يوضع في كل قلعة (٥٠٠) من الفرسان لحماية تلك المناطق[٨٣].

خرج السلطان بجيشه إلى بني يزناسن الذين تمادوا في العصيان فدمر زروعهم وضروعهم وحرق قراهم وقتل رجالهم وسبا ذرياتهم فطلبوا الأمان فأمن على من بقي منهم على أن يدفعوا الخيل والسلاح فأتوا بما عندهم من الخيل والسلاح عام ١٦٨٠ ثم نزل بانكاد وكذلك فعل بالأحلاف[٨٤] .

في أثناء رجوع السلطان إلى تلمسان أمر ببناء قلعة في كل مرحلة على الطريق ووضع فيها الفرسان من العبيد، وأمر القبائل المجاورة لتلك القلاع بدفع أعشار الزرع وأعلاف للخيل ثم ولى على تازة منصور بن الرامي[٨٥]، ووضع فيها(٢٥٠٠) فارس، فضلاً على الفرسان التي في

القلاع وهم حراس على الطريق فمن وقع في أرضه شيء عوقب عليه قائد تلك القلعة، وفي كل قلعة فندق لمبيت القوافل وأبناء السبيل، ولما وصل إلى فاس أنزل بقصبة الخميس[٨٦] (٥٠٠) من الشراقة والبربر بعيالهم وخيلهم ثم أمر ببناء قلعة بالجديدة وأنزل بها (١٠٠) من العبيد مع عيالهم وخيلهم وأخيراً وبعد تأمين الطريق وصل السلطان إلى مكناس[٨٧].

الخاتمة

تبين مما سبق إن السلطان المغربي إسماعيل عمل بجهد مضاعف على تثبيت الحكم العلوي والتخلص من الأخطار المحدقة بسلطانه بتشكيله الجيوش واستمالته القبائل وزيادة الأعمار للمدن القديمة وتجلى ذلك بالأمور الآتية:-

١. واجه السلطان إسماعيل في بداية حكمه صعوبات كبيرة لاستكمال وحدة المغرب منها خروج إخوته وابن أخيه عن طاعته وعدم الاعتراف به سلطاناً على المغرب.
٢. التجأ السلطان إلى تشكيل الجيوش الموالية له لمواجهة الثورات التي تقوم في أنحاء متفرقة من المغرب.
٣. كان تفكير السلطان منصباً على تحصين المدن الكبرى بعد السيطرة عليها بأسوار وقلاع مزودة بالحراس لتأمينها من الاعتداءات الخارجية.
٤. كان هم السلطان إسماعيل توحيد المغرب سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، لذلك قام بصد الاعتداءات الاسبانية التي كانت تجري على السواحل المغربية، وتوجه نحو السودان الغربي للحصول على مكاسب إضافية وأموال .
٥. بعد أن بلغ السلطان من القوة ما يمكنه صد أي اعتداء خارجي، دخل الأراضي الجزائرية بجيشه وبمساندة القبائل لإبراز قوته أمام الحكام العثمانيين.
٦. بالغ السلطان في كسب العبيد وأغدق عليهم من الأموال والهبات حتى ازدادوا قوة وجشعاً، الأمر الذي جعلهم يعتدون على باقي السكان.
٧. كان لتأثير المؤامرات التي حاكها أخوة السلطان وأقاربه، أن جعله ينقل السكان من المدن خوفاً من ازدياد المشاكل والولاءات الأسرية .

الهوامش :

(١) المولى إسماعيل: هو إسماعيل بن الشريف العلوي، ولد عام ١٦٤٥ بويع له بمكناس عام ١٦٧٢، دامت له السلطة (٥٣) عاماً . توفي عام ١٧٢٥، وقام بتغسيله الفقيه أحمد بن سعيد العمري. خير الدين الزركلي، الإعلام، بيروت، ط٣، ١٩٦٩، ج١، ص٣٢٤.

(٢) المولى رشيد: وهو الرشيد بن الشريف بن علي العلوي، ولد عام ١٦٣١ ويعدَّ المؤسس الحقيقي للدولة العلوية. توفي ٢٤ آذار ١٦٧٢. محمد غسان عبيد، الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب، الرباط، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٤، ص٧٠٣.

(٣) الحران: كان قائداً ووزيراً لأخيه المولى رشيد ثم بعد أن ثار على أخوه المولى إسماعيل وهرب طالباً العفو من المولى إسماعيل فعفا عنه ومنحه أموالاً جزيلة وأذن له في الرحيل إلى الحجاز فرحل إليها بأهله وخدمه وحشمه وأستقر بها. محمد الصغير الوفراني، روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل الشريف، تحقيق: عبد الوهاب بن المنصور، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٩٥، ص٦٩.

(٤) جلال يحيى، المولى إسماعيل وتحرير ثغور المغرب، الإسكندرية، الجامع الحديث، ١٩٨٣.

(٥) الأسرة السعدية ١٥١٠– ١٦٥٩ ينتمون إلى أسرة شريفة تنحدر من نسل محمد النفس الزكية من أبناء الحسن بن علي، ولذا يسمى أبناء الأسرة بالأشراف الحسنيين، وينسبهم عدد من الكتاب إلى قبيلة سعد التي تنتمي إليها حليمة السعدية مرضعة النبي محمد (ﷺ) وهكذا يفسرون الاختلاط الذي حدث في نسب الأسرة، ظهر السعديون في ناحية سوس في جنوب المغرب، وكان أول مؤسس للدولة السعدية محمد القائم. صلاح العقاد، المغرب في بداية العصور الحديثة، القاهرة، ١٩٦٣، ص١٠٣– ١٠٥.

(٦) قنطرة سبو: وهي القنطرة التي تبعد نحو(٥) أميال عن فاس على الطريق الواصل بين فاس وتوانات. محمد غسان عبيد، المصدر السابق، ص٧١٩.

(٧) جلال يحيى، المصدر السابق، ص٣٥.

(٨) أحمد بن محرز: هو أحمد بن محرز بن الشريف العلوي ابن أخ السلطان إسماعيل، كان قائداً ووزيراً لعمه المولى رشيد ثار بناحية تازة ثم بمراكش، توفي عام ١٦٨٤. محمد الصغير الوفراني، المصدر السابق، ص٦٧؛ عبد الوهاب بن منصور، اعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٨٩،ج٦، ص٩٣.

(٩) عرب سوس: هم من قبيلة مصمودة ويسمون أيضاً ركراكة وهسكورة وهنتانة وهم بربر وأكثر شهرة من بربر حاحا، لأنهم أغنى منهم ويستخرجون من سوس النيلة الجيدة التي يستعملها الصباغون. مارمول كربخال، أفريقيا، ترجمة: محمد صبحي وآخرين، الدار البيضاء، ١٩٨٩، ص٢٧.

(١٠) قبائل الأطلس: تمتد الأطلس من سلسلة جبال متواصلة من ساحل البحر المحيط إلى العقبة الكبرى جنوب خليج السلوم، وجبل ميس وهي بلاد البربر. حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف أفريقيا، ترجمة: محمد الحجي، ومحمد الأخضر، الدار البيضاء، ١٩٨٣، ج١، ص٢٨.

(١١) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ،، الدار البيضاء، ١٩٥٥، ج٣، ص٣٤.

(١٢) عطاالله الجمل، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر، القاهرة، مطبعة المصري، ط٢، ١٩٩٧، ص٢١٢.

(١٣) الصحراء: تعبير الصحراء ويعني ما وراء الأطلس الصغير جنوباً، ولم تكن رمال الصحراء حائلاً بين المغرب وبقية الدول الأفريقية، فعبرها كانت قوافل التجارة تربط بينه وبينها بوساطة أربع طرق رئيسة هي:-

١- طريق واحة وادي الساورة.

٢- طريق سجلماسة- تغازي- تاوديني.

٣ - طريق درعة- ولاته.

٤- طريق من ايكلي بسوس إلى حوض الساحل. محمد بن الطيب القادري، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة والحادية والثانية عشر، تحقيق: هاشم العلوي القاسمي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣، ص١٩٠.

(١٤) الخضر غيلان: هو أحمد الخضر غيلان الجرفيطي نسبة إلى بني جرفيط قبيلة قريبة من تطوان، وكان مقدماً على المجاهدين أيام محمد العياشي فلما قتل العياشي استقل الخضر بالرئاسة واستمر فيها حتى مقتله عام ١٦٧٣. محمد الصغير الوفراني، المصدر السابق، ص٦٦ .

(١٥) أولاد النقسيس: وهم الذين لجؤوا بعد سيطرة مولاي الرشيد على المدينة إلى سبتة، وتمكن مفضل النقسيس من العودة إلى حكم تطوان، بمساعدة صهره خضر الغيلان على النزول بتطوان ليعيد بها تنظيم جيوشه واستئناف القتال ومواجهة مولاي إسماعيل السلطان الجديد، وأخذ يراسل المدن التي سبق لها أن خضعت لشيخه محمد العياشي، ولاسيما فاس. محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق، ص١٩٢.

(١٦) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا، تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٥٤، ج٧، ص٤٧.

(١٧) زهراء النظام، أبو عبد الله محمد بن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، رسالة ماجستير (غير منشورة)، الرباط، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ١٩٩٧، كلية الآداب، ١٩٩٧، ص٣٣.

(١٨) عبد الرحمن التزاري: ورد أسمه عند الناصري باسم المنزادي، كان كاتباً للمولى رشيد، وقد قتله المولى إسماعيل وبعد قتله أمر بجره من تادلا إلى مكناس ثم فاس. محمد غسان عبيد، المصدر السابق، ص٧٢٣.

(١٩) محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، تحقيق: إدريس بو هليلا، الرباط، دار أبي رقراق، ٢٠٠٥، ج١، ص٢٨٠.

(٢٠) المصدر نفسه ص٣١٤.

(٢١) أبو عقبة: وهو المكان الذي يتم العبور منه إلى وادي العبيد فهو مركز استراتيجي بين شمال المغرب وجنوبه الغربي، وكان مسرحاً لحروب حاسمة لتاريخ المغرب بين المتنافسين على السلطة في مراكش وفاس. محمد غسان عبيد، المصدر السابق، ص٧٢٤.

(٢٢) بو حيده الطويري: ذكره القادري باسم بو جيدة، وذكره الناصري باسم حيدة وأسمه الصحيح حيدة الطويري وليس الغريري، وقد قتل ١٦٧٥. محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق، ص١٩٩.

(٢٣) شارل أندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، ترجمة: محمد مزالي، البشير بن سلامة، تونس، الدار التونسية، ١٩٨٥، ص٢٩٣؛ أبو العباس الناصري، المصدر السابق،ج٧، ص٤٩– ٥٠.

(٢٤) أبو الشفرة: هو أبو الحسن علي، ولاه المولى إسماعيل قيادة الودايا في فاس، وهو المعروف بأبي شفرة. أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ج٧، ص٥١.

(٢٥) ودي: أو الأوداية وهي قبائل عربية معقلية من بطون قبيلة الشابانات الكبرى تعدّ من كبريات قبائل الجيش المشهورة في العصر العلوي، موزعون بحوز فاس، والصويرة وتادلا والجديدة. عبد الحق المريني، الجيش المغربي في عهد أبي النصر المولى إسماعيل قاهر الأعداء، مجلة دعوة الحق، الرباط، العدد (٦)، السنة (٣٦)، ١٩٩١، ص١٨١.

(٢٦) نقلا عن: أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ج٧، ص٥٢.

(٢٧) الرياض: بنيت بأمر السلطان إسماعيل عام ١٦٨٧ وكانت زينة مكناس وبهجتها ويسكنها كل من له وظيفة في خدمة السلطان وتنافس العمال والقواد في بناء الدور والقصور فيها. محمد المشرفي، المصدر السابق، ج١، ص٣١٦.

(٢٨) جلال يحيى، المصدر السابق، ص٥٣.

(٢٩) أحمد بن عبد الله الدلائي: هو أحمد بن عبد الله بن محمد الحاج الدلائي، شخصيته فذة تمثل آخر أبطال الدلاء وفرسانها الشجعان، بدت كفايته الحربية في وقت مبكر من عمره . محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الدار البيضاء، النجاح الجديدة، ط٢، ١٩٨٨، ص٢٦١.

(٣٠) عبد الله بن حمدون الروسي: ولد في فاس وأحترف نسج الصوف ثم خدم أحمد الليريني الأندلسي، وصار من خاصته وفي عهد السلطان إسماعيل قربه إليه وعلا شأنه عنده وفوض له السلطان ولاية فاس وجبايتها، توفي عام ١٧٢٠. محمد غسان عبيد، المصدر السابق، ص٧٢٥.

(٣١) محمد المشرفي، المصدر السابق، ج ١، ص٢٨٤؛ محمد بن عبد العزيز الدباغ، شخصية المولى إسماعيل وأثرها في تحقيق أهداف الدولة العلوية، مجلة دعوة الحق، الرباط، العدد (٨)، السنة (٤٠)، ١٩٩٥، ص١١٨.

(٣٢) السيد العربي بردلة: هو أبو عبد الله محمد العربي بن أحمد بردلة الأندلسي ثم الفاسي مولداً ووفاة، ولي القضاء بفاس والفتوى مراراً وولي احباس فاس آخر مرة عزل من القضاء، وكانت له معرفة بالعربية والفقه، ولد عام ١٦٣٢، توفي عام ١٧٢٠، ودفن خارج باب عجيسه من فاس. محمد غسان عبيد، المصدر السابق، ص٧٢٦.

(٣٣) المصدر نفسه، ص٧٢٥.

(٣٤) عليليش: هو أبو حفص عمر بن قاسم المراكشي، كان والده كاتباً مع المنصور السعدي ومع أولاده من بعده، تعلق بخدمة السلطان إسماعيل حتى وفاته عام ١٧١١. المصدر نفسه، ص٧٢٧.

(٣٥) أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ج٧، ص٥٦.

(٣٦) محمد بن العياشي: كان بيده دواوين الحراطين ولما مات السلطان إسماعيل قتله وصلبه العبيد، كان فقيهاً علامة قاضياً وزيراً، وهو ينتمي إلى بني مالك الهلاليين من عرب الغرب. محمد داود، تاريخ تطوان، الرباط، وزارة الثقافة، المجلد الأول، ١٩٥٧، ص٢٢٩.

(٣٧) قبائل الغرب: وهي قبائل سفيان وبني مالك. محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق، ص٣٤٦.

(٣٨) بنو حسن: وهي قبيلة عربية انتقلت من أعالي جبال ملوية مع حركة الجيش السعدي ثم العلوي إلى ما بين مصب نهر سبو وأبي رقراق الشرادة وأستقر اكبر بطونها في شمالي فاس وتشتمل على عدة عمائر. محمد غسان عبيد، المصدر السابق، ص٧٥٥.

(٣٩) محمد يوسف، السياسة الأمنية في ظل مغرب المولى إسماعيل، مجلة دعوة الحق، الرباط، العدد (١٠)، السنة (٣٨)، ١٩٩٣، ص٥– ٧.

(٤٠) مشروع الرملة: قام السلطان إسماعيل بإنشاء مشروع الرملة ووضع به العبيد وأعد قاعدة عسكرية لجيشه النظامي، وهي تقع قرب مدينة سيدي سليمان بسهل الغرب في حوض سبو. محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق، ص٣٣٥.

(٤١) عبد الكريم الفيلالي، المغرب ملكاً وشعباً، المغرب، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ١٩٥٧، ص٥٩.

(٤٢) عبد القادري النكادي، وحدات جيش قصبة سلوان في عهد المولى إسماعيل السجلماسي، مجلة دعوة الحق، الرباط، العدد (١١)، السنة (١٦)، ١٩٧٢، ص١٤٤.

(٤٣) وادي النون: ويكتب في النصوص المغربية (وادي نون) و (وادي نول) يقع مجراه شمال وادي درعة بإقليم سوس جنوب وادي ماسة وفي منبعه يسمى (وادي الزاك) وحين يقرب مصبه في المحيط الأطلسي يسمى (بوادي نون). محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق، ص٣٣٧.

(٤٤) انتصار جاسم سعد يوسف، السلطان الحسن الأول ودوره السياسي في المغرب الأقصى ١٨٧٧–١٨٩٤، رسالة ماجستير (غير منشورة)، بغداد، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، ٢٠٠٤، ص٨؛ إدريس العلوي العبدلاوي، نضال ملوك الدولة العلوية من أجل التمسك بالكتاب والسنة النبوية، مجلة دعوة الحق، الرباط، العدد (٧)، السنة (٣٤)، ١٩٨٩، ص١٠١.

(٤٥) جيش عبيد بخاري: سمي جيش عبيد بخارى بعد أن قام السلطان إسماعيل بجمع العبيد من أطراف المغرب وجعل منهم قوادهم وأعيانهم وأحضر نسخة من صحيح البخاري وقال له:" **أنا وأنتم لسنة رسول الله (ﷺ) وشرعه المجموع في هذا الكتاب فكل ما أمر به نفعله وكل ما نهى عنه نتركه، وعليه نقاتل**" فعاهدوه على ذلك وأمرهم بالاحتفاظ بتلك النسخة وأن يحملوها حال ركوبهم ويقدموها أمام حروبهم. محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق، ص٢٣٩.

(٤٦) يوسف الكتاني، إسماعيل رائد الدولة العثمانية الشريفة، مجلة دعوة الحق، الرباط، العدد (١٢)، السنة (٣٥)، ١٩٩٠، ص١٩٨.

(٤٧) سيار جميل، تكوين العرب الحديث، عمان، دار الشروق، ١٩٩٧، ص١٤١.

(٤٨) طاطا: تقع جنوب جبل باني، وتتألف من القرى أفادت عبر مراحل التاريخ من موقعها عن طريق القوافل التجارية الرابطة بين تمبكتو ومراكش. محمد بن محمد المشرفي، المصدر السابق، ج١، ص٢٩٢.

(٤٩) شنقيط: كانت تطلق بالأصل على قرية من قرى ولاية إدرار في موريتانيا، ومعناها بالبربرية عيون الخيل، بنيت في القرن الثاني الهجري ويعرف أهلها بأهل شنقيط. محمد غسان عبيد، المصدر السابق، ص٧٢٨.

(٥٠) وزارة الشؤون الخارجية، كتاب أبيض عن موريطانيا، الرباط، ١٩٦٠، ص٤٣.

(٥١) دليم: هم قبيلة عربية كانت مواطنها الأولى وما تزال بإقليم وادي الذهب غير بعيدة عن المدينة الداخلة، نزحت منها بطون إلى الإقليم الشمالية، واندمجت في مجموعة الشراردة القبلية بإقليم سيدي قاسم. محمد الصغير الوفراني، المصدر السابق، ص١١١.

(٥٢) جرار: هم من عرب المعقل، تفرق بعضهم في الصحراء وبعضهم في السوس وانتشروا بوادي نون ويفران وتيزينت وهم من عرب القلائل في سوس. محمد غسان عبيد، المصدر السابق، ص٧٢٩.

(٥٣) خناثة: هي خناثة بنت بكار بن علي بن عبد الله من قبيلة المغافرة، تزوجت السلطان إسماعيل وهي في بداية العقد الثاني من عمرها، إذ تربت في القصر الإسماعيلي وتعلمت فيه وتثقفت وحفظت

القرآن وهي أم السلطان عبد الله بن إسماعيل. عبد الهادي التازي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي، الدار البيضاء، مطبعة الفنك، ١٩٩٢، ص٢٠٤.

(٥٤) الحراطين: جمع الحراطاني، والحرطاني معناه في عرف أهل المغرب العتيق وأصله الحر الثاني، وحال الحراطين تختلف عن حال العبيد، وكانوا يتألفون في الغالب من بقايا سكان الصحراء القدماء. محمد بن محمد المشرفي، المصدر السابق، ج١، ص٢٨٩.

(٥٥) محمد غسان عبيد، المصدر السابق، ص٧٢٨– ٧٢٩.

(٥٦) غينيا: يحدها من الشمال السنغال ومن الشمال الشرقي مالي ومن الشرق ساحل العاج ومن الجنوب ليبيريا وسيراليون وكانت المدينة القديمة (نياني) عاصمة إمبراطورية مالي تقع في أرض غينيا. إسماعيل العربي، حاضر الدول الإسلامية في القارة الأفريقية، الجزائر، ١٩٨٤، ص٢٢٠– ٢٢١.

(٥٧) فتح المنصور الذهبي (١٥٧٨–١٦٠٣) السودان المغربي عام ١٥٩١. محمد الغربي، بداية الحكم المغربي بالسودان الغربي، الكويت، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، ١٩٨٢، ص٢٨٢.

(٥٨) إسماعيل العربي، المصدر السابق، ص٢٢١.

(٥٩) تغزة: تكثر فيه مناجم الملح التي تشبه مقالع الرخام، المستخرج من الحفر، ويسكن تلك المنطقة المستخدمون في استخراج الملح، وهم ليسوا من سكان البلاد، بل هم الذين يأتون مع القوافل فيسكنون فيها وتبعد تغزة عن تمبكتو ودرعة مسير (٢٠) يوماً. حسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ج٢، ص١٠٨– ١٠٩.

(٦٠) تمبكتو: اسم مدينة بناها ملك يدعى منس سليمان عام ١٢١١، تبعد نحو (١٢) ميلاً من أحد فروع النيجر ودورها عبارة عن أكواخ من الطين والتبن. المصدر نفسه، ج٢، ص١٦٥.

(٦١) نهر النيجر: هو ثالث أكبر نهر في أفريقيا، ويمتد من غرب أفريقيا ويتجه من الجنوب الغربي حتى الشمال الشرقي ويصب في المحيط الأطلسي. إلهام محمد علي، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي ١٧٥٠–١٩١٤، الرياض، دار المريخ للنشر، ١٩٨٨، ص١٢.

(٦٢) جلال يحيى، المصدر السابق، ص٦٥– ٧٢.

(٦٣) المصدر نفسه، ص٧٢.

(٦٤) جلال يحيى، تاريخ أفريقية الحديث والمعاصر، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص١٢١–١٢٨.

(٦٥) محمد علي داهش، الدولة العثمانية والمغرب إشكالية الصراع والتحالف، الموصل، مطبعة الموصل، ٢٠٠٢، ص١٢٤– ١٢٥.

[٦٦] بلاد الشرق: يقصد ما يسمى حالياً (المغرب الشرقي) وتوجه لتازة ومنها إلى منطقة وجود عرب الأحلاف جنوب مدينة وجدة فأكرموه وصاهروه. محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق، ص٣٦٩.

[٦٧] هي قبائل بني عامر، ودخيسة وحميان، وأولاد جرير، وحشم. أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ج٧، ص٥٩.

[٦٨] وادي شلف: وهو يقع على طريق القيروان إلى تونس ويقع على نهر شلف يسكنه البربر وبه آبار عذبه. أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، المغرب، (د. ت)، ص٦٩.

[٦٩] بنو عامر: وهم بطن من زغبة الهلرين، موطنهم الكبير حول مدينة وهران كما خلت جماعات منهم إلى المغرب الأقصى فاستقرت قرب سلا والعرائش وفاس. محمد غسان عبيد، المصدر السابق، ص٧٠٦.

[٧٠] جلال يحيى، المولى إسماعيل وتحرير ثغور المغرب، ص٧٤–٧٥.

[٧١] أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ج٧، ص٦٠.

[٧٢] الأخوة الثلاثة وهم: المولى حران، والمولى هشام، والمولى أحمد بن الشريف العباس. المصدر نفسه، ج٧، ص٦٠.

[٧٣] ايت عطا: وهم من قبائل البربر الصنهاجيين الصحراويين يستقرون بالأطلس الصغير جنوب المغرب، ثم في أماكن ومناطق متفرقة بالمغرب. محمد بن محمد المشرفي، المصدر السابق، ج١، ص٢٨٣.

[٧٤] جبال صفرو: وهي امتداد جبال الأطلس على بعد نحو (١٥) ميلاً إلى الجنوب من فاس ويوجد ممر جبلي يفضي إلى نوميديا. حسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ج١، ص٣٦٢.

[٧٥] قائد جيشه: موسى بن أحمد المدعو بابن يوسف قائد السلطان إسماعيل. محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق، ص٢١٢.

[٧٦] الوباء العظيم: هو مرض الطاعون، انتشر في أوربا في أثناء ذلك القرن لكن عَّبر تطوان ووصل إلى المغرب وكانت من ضحاياه الفقراء والمعدمون الذين لا يمتلكون وسائل التغذية ووسائل النظافة وإصابة كل من المدن الآتية في تطوان والقصر وأصيلا ومكناس وفاس وفي سلا وأزمور ومراكش وفي تارودانت وأسفى وتازا وتافيلالت. جلال يحيى، المولى إسماعيل وتحرير ثغور المغرب، ص٨٤.

[٧٧] جبل درن: ويقال أيضاً الجبل القديم الذي هو الأطلس الكبير قرب مراكش. حسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ج١، ص١٣٠.

[٧٨] محمد غسان عبيد، المصدر السابق، ص٧٢٩– ٧٣٠.

[٧٩] سيدي رحال: هي زاوية الشيخ أبي العزم سيدي رحال الكوش. أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ج٧، ص٦٠.

(٨٠) المصدر نفسه، ص٦١.

(٨١) زرارة: وهي قبيلة من أحدى قبائل عرب بني معقل المندرجة تحت اسم (الوداية) التي كانت تسكن سوس، وأصبحت من قبائل جيش مولاي إسماعيل. محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق، ص٢٣٤.

(٨٢) القلاع: وهي كل من قلعة رقادة وقلعة سلوان وقلعة الليون وقلعة الملوية. أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ج٧، ص٦٢.

(٨٣) عبد الرحمن بن زيدان، المنزع اللطيف المولى إسماعيل بن الشريف، تحقيق: عبد الهادي التازي، الدار البيضاء، مطبعة أريال، ١٩٩٣، ص١٦٣.

(٨٤) أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ج٧، ص٦٢.

(٨٥) منصور بن الرامي: وهو عامل السلطان بتازة وأعمالها إلى تلمسان. توفي في الحروب التي قامت بين مولاي إسماعيل وحكام الجزائر. محمد غسان عبيد، المصدر السابق، ص٧٣٠.

(٨٦) قصبة الخميس: تقع خارج سور فاس القديمة. المصدر نفسه، ص٧٤٦.

(٨٧) محمد السائح، المولى إسماعيل العلوي، مجلة دعوة الحق، الرباط، العدد (٢)، السنة (٣)، ١٩٥٩، ص٢٨.